الباقيات الصالحات

وقفة مع الآية الكريمة

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا

والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً»

سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

الفهرس

ما المقصود بالزينة؟ ٣

المال وتحديده ٤

معاني كلمة «دنيا» ٦

الباقيات ٧

وقفة تأمّل ٨

وخير أملاً ٩

خير للمرء أن ينفق من ماله في حياته ١٠

الشياطين تمسك بيد المنفق ١١

الصالحات ١١

قصتان فيهما عبر ١٣

سارعوا في الخيرات ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿***المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً***﴾[1].

ما المقصود بالزينة؟

لقد عبّر القرآن الكريم عن المال والبنين أنّهما زينة الحياة الدنيا. وإنّنا سنتناول في هذه المحاضرة الشق الأوّل وهو المال، ولكنّنا قبل ذلك نعطي شرحاً لفظياً لمفردات الآية الكريمة ونبدأها بكلمة «الزينة» فنقول:

الزينة هي المظهر الخارجي أو ما يعبّر عنه بـ«الديكور» حسب الاصطلاح العصري (ولذلك يقال للحلاّق الزيّان، لأنّه يصفّف الشعر ويرتّبه).

(١) الكهف: ٤٦.

وهذه الحياة الدنيا التي نعيشها مثَلها كمثَل الدار لها أعمدة وسقف وجدران ولها رتوش وزينة. فالأعمدة والسقف والجدران وما تألفّت منه من حديد وإسمنت وخشب وطابوق و ... أساس تمثّل بناء الدار، ولا غِنى عنها ليصدق على المورد أنّه دار. أمّا المصابيح والستائر والصبغ وسائر الأمور الظاهرية فهي زينة الدار، والتي يمكن أن يقوم الدار بدونها.

إذا اتّضحت هذه المقدّمة نقول: إنّ الله تعالى عدّ المال والبنين من القسم الثاني في الحياة الدنيا؛ أي إنّ الإنسان إذا كان صحيح الجسم قويّ البنية والإرادة راضياً بما قسم الله له، فحياته كاملة من حيث الأساس ولا ينقصها إلاّ الزينة أو الديكور، كالمال والأولاد وباقي الأمور الثانوية الأخرى في الدنيا التي بفقد أحدها لا ينخدش مصداق الدنيا، لذلك عبّر عنهم بزينة الحياة الدنيا لا عمادها. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿***المال والبنون زينة الحياة الدنيا***﴾.

المال وتحديده

المال - في اللغة - مشتقّ من (م ي ل) أي أنّ ألفه - كما يقول علماء الصرف - منقلبة عن ياء، والميل يعني الرغبة.

وهذا واضح لأنّ صاحبه يميل إليه. فمَن كان عنده دنانير يميل إليها، فالدنانير مال إذاً. والسجّاد مال لأنّ القلب يميل إليه، والأراضي مال، والمزارع مال، والعقارات والدور والبساتين مال، لأنّ القلب يميل إليها، وهكذا الذهب والفضّة والأسهم في الشركات و ...

فمَن كان عنده شيء من هذه الأمور مالَ قلبه إليها وفكّر في قيمها وهل ستصعد أو تنزل في الأيام القادمة، وما أشبه.

هذا ويكون المال مع الإنسان مادام في هذه الحياة، فإذا مات انفصمت عرى العلاقة بينهما. فالتوقيع الذي يخطّه مليونير على صك بمبلغ مئات الملايين قد لا يستغرق منه ثواني، ولكن هذا المليونير نفسه لا يستطيع أن يخطّ خطاً قيمته فلس واحد، بمجرّد أن تفارق روحه بدنه. فلم يعد عنده مال بل كان عنده مال فيما مضى؛ ولذلك ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلاثَةَ أَخِلاءَ. فَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَيّاً وَمَيِّتاً وَهُوَ عَمَلُهُ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَمُوتَ، وهُوَ مَالُهُ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ لِلْوَارِثِ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ

إِلَى بَابِ قَبْرِكَ ثُمَّ أُخْلِيكَ، وَ هُوَ وَلَدُهُ[1].

هذا إذا كان أولاده ممّن يحضرون لتشييعه، ولم يكونوا كأكثر أولاد هذا الزمان الذين قد لا يحضرون حتى تشييع أبيهم.

لقد حضرت شخصياً تشييع شخص ثريّ ولم يحضر تشييع جنازته أيّ من أبنائه، فاستأجر أحد المنتسبين إليه حمّالين لحمل نعشه!

معاني كلمة «دنيا»

الدنيا تعني الدانية أي القريبة، وربما سميت هذه الحياة بـ«الدنيا» لأنّها أقرب إلينا، فهي من الدنوّ إذاً.

وقد تكون من الدناءة، فالدنيا بمعنى الدنية، أي التي لا قيمة لها. وحقّ أن توصف كذلك؛ لأن الله تعالى وصفها بالمتاع القليل، أي الذي لا قيمة له، قبال الدار الآخرة التي وصفها بالحياة الحقيقية.

لقد وصف الله تعالى - في هذه الآية - هذه الحياة بأنّها دنيا ثم عدّ المال والبنين زينة لها، لا أساساً أو عماداً.

(١) وسائل الشيعة:١٦/١٠٦ ح٢ باب١٠٠ وجوب الاشتغال بصالح الأعمال.

فالمليونير المحكوم عليه غداً بالإعدام عنده زينة، ولكنّه لا يملك عماد الحياة الدنيا، فلا فائدة من تلك الزينة إذاً.

أمّا مَن كان يعيش راضياً مطمئنّاً فهو متمتّع بالحياة وإن كان عديم المال أو الولد؛ لأنّ المال ليس أكثر من ميل، وحدّه مع الإنسان إلى موته. والولد زينة أيضاً وحدّه مع الإنسان إلى قبره ـ كما في الحديث القدسي ـ هذا إن كان باراً.

الباقيات

تشير الآية ـ في المقطع الثاني ـ إلى المال الذي يستثمره صاحبه في هذه الحياة من أجل الحياة الآخرة، وتسمّيه باقياً. فالمليونير إذا مات لا يبقى له من ماله الذي خلّفه حتى فلس واحد، أمّا المال الذي قدّمه لنفسه في تلك الدار فهو المال الذي يبقى له.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله **أنه ذبح شاة في حجرة عائشة فاطّلع عليها فقراء المدينة، فجاءوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يعطيهم، فلمّا دخل الليل لم يبقَ منها إلاّ رقبتها، فسأل عن عائشة ما بقي منها؟ فقالت:لم يبقَ منها إلاّ رقبتها. فقال صلى الله عليه وآله:**

قولي بقي كلّها إلاّ رقبتها![1]

وقفة تأمّل

لاحظ هذا المال الذي يصفه الله تعالى في هذه الآية بأنّه زينة الحياة الدنيا أي أنّه زينة أوّلاً وليس عماداً، ولهذه الحياة الدنيا ثانياً وليس للحياة الباقية العليا، هذا المال نفسه يصفه الباري بسبعة أوصاف عظيمة إذا تركته لله عزّ وجلّ!

الموصوف هنا «أل» الموصولة في قوله تعالى ﴿***الباقيات***﴾.

أمّا الأوصاف فهي أنّها:

١. باقيات.

٢. صالحات.

٣. خير.

٤. عند ربّك. وهذا تقويم كثير وتثمين عظيم. فهذا الذي لا يساوي شيئاً أكثر من كونه زينة للدنيا، وليس أساساً حتى للدنيا، يكون ذات قيمة عند ربّك.

٥. ثواباً. أي إنّ هذه الأموال التي لا قيمة لها تنقلب إلى ثواب الله سبحانه.

---

(١) مستدرك الوسائل:٧ / ٢٦٦ ح ١٤.

٦. خير؛ تأكيد.

٧. أملاً.

ولو بحثتم في القرآن لرأيتم أنّه لم يستعمل كلمة أمل إلاّ مرّتين فقط، إحداهما في الشرّ، في قوله تعالى: ﴿***ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل***﴾[1] والثانية في الخير وهي هذه الآية.

وخير أملاً

يقول الله تعالى عن هذا المال الذي تنفقه في سبيله إنّه خير من جهتين، الأولى أنّه سينقلب ثواباً لك عند الله تعالى، والثانية أنّه خير أمل تعوّل عليه في حياتك؛ فإنّ كلّ إنسان يعمل عملاً يكون له من ورائه أمل يصبو إليه ويتمنّاه. فالذي يدرس يأمل أن يصبح مهندساً أو طبيباً أو فيلسوفاً أو أستاذاً في العلوم الأخرى و ... والذي يشتغل يكون أمله أن يكسب مالاً وفيراً. ومَن يعمل في حقل السياسة يؤمّل أن يصبح في يوم ما وزيراً أو مديراً عامّاً أو ما أشبه. ومَن يدرس العلوم الدينية يرجو أن يكون يوماً ما خطيباً بارعاً أو مرجع تقليد أو

(١) الحجر: ٣.

مجتهداً ... وهكذا لكلّ إنسان في هذه الحياة أمل. بيد أنّ الله تعالى يخبرنا أنّ أحسن الأمل هو أن تسخّر مالك من أجل ذلك العالَم.

خير للمرء أن ينفق من ماله في حياته

في الأثر أن أحد الصحابة لما حضرته الوفاة أوصى أن يدفع ملء غرفة تمراً من ماله إلى رسول اللهﷺ ليتولى هو بنفسه توزيعها على فقراء المسلمين – والتمر يومذاك طعام وإدام – . وبعد أن وزّع النبيﷺ التمر بقيت حشفة (وهي أردأ التمر الذي لا لحم فيه، أو اليابس أو المنقور من الطيور والعصافير) فقال النبيﷺ: لو أنه أنفقها في حياته لكان خيراً من كلّ هذا الذي أنفقه بعد مماته. (الحديث بالمضمون).

فمن اليسير على الإنسان أن يكتب وصية يوصي فيها أن ينفقوا أمواله في سبيل الله ولكن الأهمّ أن يفعل ذلك بنفسه وفي حياته، لأنّ المهم هو قطع هذا الميل عن نفسه، وهذا هو الأصعب.

الشياطين تمسك بيد المنفق

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **الصدقة باليد تدفع ميتة السوء ... وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لا يفعل.**[1]

ومما يدلّ على ذلك أنّ كثيراً من الناس عندما ينوي إخراج مبلغ من المال لمشروع خيري ويمد يده في جيبه تراه يتراجع أو يقلّل من المبلغ الذي كان ينوي إعطاءه إذا تأخّر المستعطي قليلاً.

أعرف رجلاً من المؤمنين الأخيار أعطى قولاً للمساعدة في مشروع بمبلغ (٥٠٠) دينار وكان ذلك في بيت الله الحرام وعند الكعبة المشرّفة، ولكن عندما عاد إلى بلاده تراجع متذرّعاً بذرائع واهية، ولكنّه خسر بعد ذلك بأسبوعين في صفقة واحدة زهاء ثلاثة ملايين دينار!!!

الصالحات

لقد جاءت كلمة الصالحات في القرآن زهاء مئة مرّة. فما هو معنى الصالح؟

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٢ / ٦٦ ح ١٧٣١.

الصالح يعني النافع. فإنّ المال الذي نتركه بعد الممات قد يبقى ولكنّه يكون وبالاً علينا أحياناً، أمّا ما أنفقناه في سبيل الله فهو من الباقيات الصالحات، أي التي تصلح لنا وتنفعنا.

فمَن يبني داراً للهو ويموت، فإنّها تبقى بعده، ولكن هل بقاؤها صالح أم ضارّ عليه؟!

أمّا مَن يبني مسجداً أو حسينية ويدركه الموت، أو يطبع كتاباً دينياً أو يصرف أمواله للفقراء والمساكين أو المشاريع الدينية.. فهذه باقيات صالحات.

في الحديث: **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له**[1].

فربّ مساجد في العراق وإيران والحجاز وغيرها يعود تاريخها إلى (١٣٠٠) سنة أو أقلّ، فهنيئاً لَمن ساهم في بنائها، فهي الباقيات الصالحات حقاً!

(١) المعتبر للمحقّق الحلّي: ١ / ٣٤١.

قصتان فيهما عبر

حكى المرحوم والدي قدس سره عن تاجر مؤمن ومسنّ في كربلاء المقدسة أو النجف الأشرف سمع قصة إنفاق الرجل لبيت التمر بيد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وأنّه كان خيراً له لو أنفقها في حياته.. فقرّر أن يعمل بها.. فأقام لنفسه مجلس فاتحة وهو حي، أطعم خلالها الطعام ووزّع المصاحف لتُقرأ على روحه .. و.. و...

وهكذا الحال في الأربعين والسنة، ثم توفّي بعد رأس السنة بأيام!!

إنّ عمله جميل حقاً وإن استُهجن من قِبل بعض الناس.

كما أنّ بعض أهل الخير ممن وافاهم الأجل كان من المشتركين في بناء حسينية ومكتبتها العامة، رئي في عالم الرؤيا من قِبل بعض المؤمنين فسأله عن حاله، فقال: لقد أحسَنوا إليَّ كما أحسنت في بناء الحسينية، وها أنا الآن في مكان كبير وجميل وسط بساتين وأشجار فرحاً مسروراً.

سارعوا في الخيرات

فلنشمّر عن ساعد الجدّ، ولنضع بعض أموالنا في خدمة المشاريع والمؤسسات الخيرية. فمَن لم يستطع بناء مسجد وحده فليساهم وليبذل قدر وسعه. فهذه هي الباقيات الصالحات؛ نسأله تعالى أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

تأسس موكب وهيئة الرسول الأعظمﷺ الشيرازية في الكاظمية المقدسة في صفر عام ١٤٢١هـ ويتألف من عدة لجان:

١. اللجنة الثقافية: (اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية وخصوصاً للشباب).

٢. لجنة طباعة وتوزيع الكتب.

٣. لجنة الشعائر الحسينية: (اقامة المجالس الحسينية ونزول موكب الردات والتطبير ومأتم الامام الحسين) واحياء مناسبة اربعينية الامام الحسينعليه السلام في كربلاء المقدسة.

٤. لجنة السفرات: (عمل سفرات الى مراقد الأئمةعليهم السلام في العراق وايران).

٥. لجنة العلاقات العامة.

٦. لجنة الادارة والمالية.

٧. لجنة الرسول الأعظمﷺ الخيرية: استحدثت اخيراً وقامت بكفالة أيتام (راتب شهري) لمدة سنة بالتنسيق مع مؤسسة ام أبيهاعليها السلام الثقافية وتوزيع الملابس والمساعدات على الأيتام والفقراء.

ومن اصدارات الموكب:

١. الافتتان بعاشوراء (لسماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي).

٢. الامام الحسينعليه السلام جوهرة التاريخ الفريدة (لسماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي).

٣. فاطمة الزهراءعليها السلام المقامات الغيبية والوجه الحضاري (لسماحة الفقيه الراحل السيد محمد رضا الشيرازي).

٤. الامام الشهيد موسى الكاظمعليه السلام (الشيخ نزار الحسن).